قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

التشكّل السّردي لمسار الفواعل في القصص القرآني
ـ موسى عليه السّلام مع العبد الصّالح أنموذجا ـ

The narrative formation of the path of actors in the Qur'anic stories
- Moses, peace be upon him, with the righteous servant as a model -

د. وهيبة خبيل [1] *
[1] مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري- تيزي وزو- الجزائر.

Key words:

narrative structure

the path of actors

semiotics

Quranic stories

the formation of meaning.

Abstract

approaching the Qur'anic text is not an easy matter, due to its nature, given that it is a text emanating from the Divine Essence, in contrast to human approaches that plead to conceal its meanings with contemporary procedural tools that did not originate in the land of Islamic knowledge.

The relationship of the curriculum with the Qur'anic text lies in what is given to one of them to serve the other. The goal of modern curricula in general and the semiotic approach in particular lies in analyzing it, understanding its logic, and tracing ways to form its meanings.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال :2023-09-08

القبول : 2023-11-21

الكلمات المفتاحية:

البنية السّرديّة

مسار الفواعل

السّيميائيّات

القصص القرآني

تشكّل المعنى.

ملخص

إنّ عمليّة مقاربة النصّ القرآني ليست بالأمر الهيّن، وذلك نظرا لطبيعته على اعتبار أنّه نصّ نابع عن الذّات الإلهيّة، في مقابل مناهج بشريّة تتوسّل استكناه معانيه بأدوات إجرائيّة معاصرة وافدة لم تنبت في أرض المعرفة الإسلاميّة، ممّا أوجب علينا السّعي للقراءة العلميّة غير النّاقضة لأطروحات القرآن الكريم.

تكمن علاقة المنهج بالنصّ القرآني فيما يمنح الواحد منهما لخدمة الآخر، فغاية المناهج الحديثة عامّة والمنهج السّيميائي خاصّة تكمن في تحليله وفهم منطِقه، وتتبّع طُرق تشكّل معانيه.

* Corresponding author at : Tizi Ouzou University, ALGERIA.
Email : omhadjer15@gmail.com

1. مقدمة

تهتمّ دراستنا بمقاربة قصّة سيّدنا موسى عليه السّلام مع العبد الصّالح الخضر الواقعة في سورة الكهف بسبب تميّزها في مقام ورودها إذ تعتبر قصّة مفتوحة من جهة، حيث تنيرنا بجانب من جوانب سيرة موسى عليه السّلام وهو من أولي العزم من الرسل، ومن جهة أخرى تُدرَج هذه القصّة ضمن القصص المكتمل لتفرّد الموضوع الّذي عالجته وهو "علم الغيب" لكونه لم يورد في موضع آخر من القرآن الكريم، مع امتيازها بحقل زمنيّ واحد وهو زمن سيّدنا موسى عليه السّلام، الأمر الّذي يسمح لنا بالضّبط السّلس لمسار الفواعل في القصّة، وتحديد الصّراع القائم بينهم من أجل كشف البنية السّطحيّة ببرامجها السّرديّة ومساراتها الصّوريّة وإدراك طريقة تشكّل المعنى من خلال البنية العميقة وتحليلهما وفقا لـ«ما بينهما من علاقات» (**كامل**، 2003، **صفحة** 44) معقّدة ومتشابكة.

إذ تقوم السّيمائيّات بالبحث فيما وراء المعنى وفكّ شفرات النصّ من طرف القارئ، ذلك أنّ موضوع السّيمياء هو شرح البِنى الدّالة والّتي تكوّن خطابا فرديا أم جماعيّا، الأمر الّذي جعلنا نسعى للإجابة عن السّؤال الأساس والّذي يصبو إليه هذا المنهج وهو: كيف يقول النصّ ما يقوله؟ وما هو النّظام المستعمل وما هي القوانين المساهمة في إظهار المعنى في قصّة موسى عليه السّلام مع العبد الصّالح الخضر؟.

ولا غرو، أنّ عمليّة البحث عن المعنى لا يتأتّى في هذه القصّة إلّا بالعودة إلى الذّات الإلهيّة المنتجة والمشاركة في هذا النصّ القرآني، وذلك عن طريق تتبّع المسار السّردي للقصّة سعيا منّا للكشف عن البنيات المنظّمة له وفق الاعتماد على جملة من الإجراءات التّحليليّة الّتي وضعها "غريماس" مستغلّا في ذلك مفهوم علاقات: التّضاد والتّناقض والتّضمين وعمليّات النّفي والإثبات، والّتي بفضلها تمكّن من تتبّع مسار الفواعل والعوامل الموصلة إلى إنتاج الدّلالة الأساس في القصّة وتحديد العلاقة القائمة بينها.

ومنه يمكن التّمييز بين مستويَيْن (**Groupe d'entrevernes, 1984, p. 19**):

1.**المستوى السّطحي** (**Le niveau de Surface**): والّذي يتكوّن من مركّبتين:

- المركّبة السّرديّة: الّتي تنظّم تتالي الحالات والتحوّلات.

- المركّبة الخطابيّة: الّتي تقوم بتنظيم تتالي الصّور وآثار المعاني في النصّ.

1-**المستوى العميق** (**Le niveau de profond**): هناك مخطّطان لتنظيم العناصر في هذا المستوى:

- شبكة علاقات تقوم بتصنيف القيم حسب العلاقات القائمة فيما بينها.

- نظام من العمليّات تنظّم الانتقال من قيمة إلى أخرى.

• تحليل البنيّة السّطحيّة

لقد قام "غريماس" بتحديد ثلاث مجموعات من الفواعل المتعارضة وهي: الذّات مقابل الموضوع، المرسِل مقابل المرسَل إليه، المساعد مقابل المعارض، ليقوم بعدها بتعميق دلالات هذه المجموعات الثّلاث فيربطها بدوافع تحرّك القصّ، فعلاقة الذّات بالموضوع يحكمها دافع الرغبة في امتلاك شيء، وعلاقة المرسل بالمستقبِل يحكمها دافع الانفصال والاتّصال، أمّا علاقة المساعد بالمعارض، فيحكمها صراع الذّات في سبيل تحقيق رغبتها (**إبراهيم، د ت، صفحة** 43).

ويتواجد محور الذّات والموضوع في الملفوظات السّرديّة البسيطة فتنشأ ملفوظات الحالة Les énoncés d'état وتكون ذات الحالة إمّا في حالة انفصال(U) عن موضوع القيمة (O) أو في حالة اتّصال به (∩)، ويترتّب عن ملفوظات الحالة تطوّر ضروريّ يسمّيه "غريماس" ملفوظات الإنجاز أو ملفوظات التحوّل Les énoncés de faire، حيث يحصل التطوّر بفضل ذات الإنجاز.

وهذا التطوّر الّذي تشهده القصّة يسمّيه "غريماس" بالبرنامج السّردي programme narratif (PN)، وهو «مجموعة الحالات والتحوّلات الّتي تربط قاعدة العلاقة بالذّات والموضوع مع تحوّلاتها» (**Groupe d'entrevernes, 1984, pp. 14-20**)، فلا وجود لذات دون موضوع، ولا وجود لموضوع دون ذات.

ولكي نستطيع الإلمام بنظام هذه القصّة المندرجة ضمن القصص القرآني ورصد ملفوظات الحالة وملفوظات التحوّل ينبغي أن نقوم بتقطيعها إلى مقاطع سرديّة وهي:

- المقطع الأوّل (المرحلة التمهيديّة): **رحلة موسى عليه السّلام في طلب العلم**

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (65) ﴾(سورة الكهف) ← ملفوظ حالة يدلّ على تحمّل موسى عليه السّلام مشاق السّفر من أجل التعلّم.

يبتدئ المقطع الأوّل بجملة «**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ**» والّتي تدلّ على استعادة الزّمن الماضي (زمن سيّدنا موسى عليه السّلام) والمراحل الّتي مرّت بها قصّته مع العبد الصّالح الخضر، بحيث يجسّد هذا المقطع الحالة البدئيّة الّتي تُظهر موسى عليه **السّلام فاعلا** منفصلا عن العلم اللّدنّي ويرغب في تحقيق الاتّصال به عن طريق **برنامج استعماليّ** وهو: الاتّصال بقيمة الصّبر أثناء رحلته في طلب العلم، فجعل مكان فقدان الحوت الموضوع في

المكْتَل (مكان وضْع الحوت) وانفلاته بقدرة من الله تعالى مَعْلَمًا يدلّه على العبد الصّالح الّذي خصّه الله تعالى بالعلم اللّدنّي في حدود ما أراده هو(الله)، وجعل له سرّا يمتاز به وهو الرّحمة ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (65) ﴾(سورة الكهف) و«وإيتاء الرّحمة يجوز أن يكون معناه: أنّه جُعل مرحوما، وذلك بأن رفق به الله في أحواله» (**بن عاشور**، 1984، **صفحة** 369) أو أن يكون «سبب رحمة بأن صرّفه تصرّفا يجلب الرحمة العامّة» (**بن عاشور**، 1984، **صفحة** 369)، ويظهر موسى عليه السّلام – ها هنا- مصمّما وعازما على الوصول إلى مكان الخضر مهما أنفق من الزّمن والجهد في سبيل ذلك.

ففاعل الحالة (موسى عليه السّلام) في هذا السيّاق يريد أن يصبح فاعلا محوّلا ومنجزا بانتهاجه سبيل الصّبر على مشاق السّفر وتحمّل التعب في سبيل التعلّم، فضلا عن اتّصاله بمعرفة مكان العبد الصّالح وهو مكان فَقْدِ الحوت، هذا الفعل يُظهر موسى عليه السّلام فاعلا مؤهّلا يمتلك جهتيْ الإضمار: **الرغبة في الفعل ومعرفة الفعل**، فهذه الرّغبة في التعلّم النّاتجة عن رغبة سابقة هي فقدان الحوت لمعرفة مكان الخضر سمحت بالتّحضير لحدوث عمليّة التحوّل في العلاقة بالموضوع القيميّ الأساس (تعلّم العلم اللّدنّي) بفعل استعداد الفاعل للاتصال بموضوع قيمة المقطع الأوّل (التحلّي بالصّبر) والوصول إلى مجمع البحرين من أجل اكتساب هذا العلم، كما أنّ الجهتين المضمرتين تؤسّسان فاعلا عند اكتسابه لهما، فلم يشتك (موسى عليه السّلام) ولا صاحبه (الفتى يوشع بن نون) برغم مشاق السّفر والجوع وهذا ما يظهر في قوله ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62)﴾(سورة الكهف).

بعد هذا القول الصّادر من الذّات الموسويّة يحدث الوصل مع موضوع القيمة في هذا المقطع وهو (الصّبر) وهو قيمة أخلاقيّة. ونمثّل لذلك بـ: (ف1∩ م ق).

منه يمكن تمثيل البرنامج السّرديّ لموسى عليه السّلام في مرحلته الأولى إبان عزمه السّفر إلى مكان وجود العبد الصّالح، وذلك من خلال النّموذج العامليّ الّذي تطرّق إليه "غريماس" والمتكوّن من ستّة عوامل رئيسة متجلّية في ثلاثة أزواج كما ذكرنا آنفا (المرسِل مقابل المرسَل إليه/الذّات مقابل الموضوع/ المساعد مقابل المعارض) على النّحو التّالي:

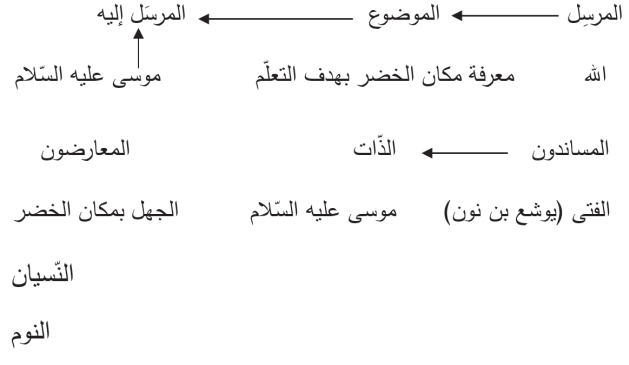

– المقطع الثّاني: (إبرام العقد بين موسى عليه السّلام والخضر)

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾(سورة الكَهف)← ملفوظ حالة يدلّ على التّحضير للاختبار التّأهيليّ المتمّم لاختبار الصّبر.

يُظهر هذا المقطع سيّدنا موسى عليه السّلام بمظهر مفاوض بارع ممتلك لإرادة الفعل فيقوم بمحاورة العبد الصّالح من أجل قبول تعليمه بعد إبرام عقد يتيح له مرافقته من أجل تزويده بتعلّم العلم الّذي حباه الله به، فيطلب مرافقة العالم بأدب جمّ، فموسى عليه السّلام في هذه الحالة متعلّم وعليه إظهار حسن الأدب تّجاه معلّمه، وفي هذا «دليل على أنّ أهمّ ما يتسّم به طالب العلم هو الصّبر والطاعة للمعلّم» (**بن عاشور**، 1984، **صفحة** 373).

وفي مقابل ذلك، فإنّ العبد الصّالح "الخضر" العالم بجانب من العلم اللّدنّي يعرف أن موسى عليه السّلام صاحب العلم البشريّ الظّاهر لن يتمكّن من الصّبر على ما سيراه من تصرّفاته الّتي تصطدم بالمنطق العقليّ، ومن المعروف أنّ «الصّبر والطاعة من المتعلّم الّذي له شيء من العلم أعسر من صبر وطاعة المتعلّم السّاذج، لأنّ خلوّه من العلم لا يُحرجه من مشاهدة الغرائب، إذ ليس في ذهنه من المعارف ما يعارض قبولها، فالمتعلّم الّذي له نصيب من العلم وجاء طالبا الكمال في علومه إذا بدا له من علوم أستاذه ما يخالف ما تقرّر في علمه يبادر إلى الاعتراض والمنازعة، وذلك قد يثير النّفرة بينه وبين أستاذه، فلتجنّب ذلك خشي الخضر أن يلقى من موسى هذه المعاملة ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا(68)﴾ فأكّد له موسى أنّه يصبر ويطيع أمره إذا أمره، والتزام موسى ذلك مبنيّ على ثقته بعصمة متبوعه لأنّ الله أخبره بأنّه آتاه علما» (**بن عاشور**، 1984، **صفحة** 373).

نلاحظ من خلال هذا المقطع أنّ فاعل الحالة (موسى عليه السّلام) صاحب الحاجة (تعلّم العلم اللّدنّي) يعيش حالة هوى، وهي مظهر من مظاهر«البعد الانفعاليّ، فالإنسان لا "يفعل" فقط، إنّه بالإضافة إلى ذلك يضمّن الفعل شحنة انفعاليّة تحدّد درجة الكثافة الّتي يتحقّق من خلالها هذا الفعل، وهي إشارة أيضا إلى طبيعة كينونة الذّات الفاعلة وتأثيرها في فعلها» (**غريماس و وجاك**، 2010، **صفحة** 12)، فالذّات عازمة على الصّبر والطاعة من أجل الاتّصال بموضوع القيمة الأخلاقيّة "الصّبر" الّذي يمثّل برنامجا استعماليّا، مجسّدا في هذه الحالة الرغبة في الفعل كعنصر من عناصر الكفاءة حيث قررت الذّات الموسويّة الثبات والاستمرار على فعل الفعل (الصّبر على ما لا تتحمّله الذّات البشريّة حتّى وإن كان مخالفا للشّرع)، فالفاعل مصمّم وهو يمتلك إرادة الفعل:﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا(69)﴾.

في حين يظهر العبد الصّالح كفاعل يمتلك موضوع القيمة الأساس(العلم اللّدنّي) المعتمد على علم الباطن في حدود ما أراده الله تعالى، ويريد إيصال فاعل الحالة بهذا الموضوع ولكن بعد التقيّد بشرطيْ الصّبر كمرحلة أولى وعدم السّؤال كمرحلة ثانيّة ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا(70)﴾(سورة الكهف).

ويمكن في هذا الموضع التّمثيل لمواضيع الجهة (إرادة الفعل ووجوبه) المؤديّة إلى اكتساب الكفاءة إذا ما اقترنت بالقدرة على الفعل بـ:

ف ت (ف1)⟵[(ف2 U م ج) ⟵ (ف2 ∩ م ج)]

ف ت: فعل تحويل، ف1: الله، ف2: موسى عليه السّلام.

م ج: مواضيع الجهة (الصّيغة) ⟵ تحوّل، U فصلة، ∩ وصلة، [ ] ملفوظ تحوّل، ( ) ملفوظ حالة.

وهذا ما يجعل ذات الحالة واستنادا على المستوى المعرفيّ تمتلك معرفة الفعل المنبثقة عن وجوب الفعل (الصّبر وعدم السّؤال) فمعرفة الفعل هي أن لا يستفسر حتّى حدوث التّأويل.

نلاحظ بعد اتّباعنا مسار الذّات الموسويّة في هذا المقطع تمهيدها للدخول في مرحلة وصل مع تحقيق موضوع القيمة والّتي تستوجب الكفاءةLa Compétence وهي «تلك الظّروف الهامة لتحقيق الإنجاز» (Groupe d'entrevernes, 1984, p. 17) أي الكفاءة المتعلّقة بالفاعل المنجز وهي (Groupe d'entrevernes, 1984, p. 17):

- وجوب الفعلLe Devoir Faire /- الرغبة في الفعلLe Vouloir Faire

- معرفة الفعلLe Savoir Faire / -القدرة على الفعلLe Pouvoir Faire

منه نقترح المخطّط السّرديّ التّالي لتيسير عمليّة فهم العلاقة بين الذّات والموضوع:

الذّات الفاعلة	البرنامج السّرديّ
التّحريك	تعليم موسى عليه السّلام علما لا يعرفه
الرغبة	- الرغبة في الفعل: رغبة موسى عليه السّلام في تعلّم العلم اللّدنّي.
الوجوب	- وجوب الفعل: وجوب الحصول على العلم.
الكفاءة	- معرفة الفعل: الصّبر المشروط على الذّات الموسويّة وعدم الجدال فيما ترى.
المعرفة	- القدرة على الفعل: لم يتمكّن موسى عليه السّلام من الحصول على العلم الباطن لأنّه من اختصاص الله تعالى، لكنّه أدرك أنّ الكون لا يرتبط بالظّاهر.
القدرة	خرق السّفينة وقتل الغلام وبناء الجدار دون أجر من طرف الذّات المنجزة وهي العبد الصّالح.
الإنجاز	
التّقييم	

نلاحظ من خلال الجدول السّابق أنّ القصّة معقّدة بسبب تشابك الأدوار بين ذاتيْ القصّة، فالذّات الموسويّة ذات حالة ترغب بإحداث الوصلة مع موضوع العلم الباطن، غير أنّ الذّات الّتي تضطلع بالإنجاز هي ذات العبد الصّالح والّذي يبدأ في برنامجه السّرديّ العام بعد أن نفى قدرة فاعل الحالة على تحمّل ما سيراه منه عند بداية إنجاز الأفعال التّعليميّة الّتي تسمح بتقييم موسى عليه السّلام من حيث: هل هو فاعل كفء صابر؟ أم فاعل تنقصه الكفاءة بسبب عدم قدرته على الصّبر العائد إلى أنّ علمه بشريّ لا يتيح له معرفة علم الغيب؟

فمن خلال ما سبقت دراسته، تظهر لنا علاقة التّناقض جليّة بين علم موسى عليه السّلام البشريّ والملّم بالتّشريع الدّنيوي المقترن بالظّاهر، وبين علم غيبيّ متعلّق بمواضيع خفيّة تندرج ضمن علم الباطن الخاصّ بالذّات الإلهيّة، وما يتوجّب على فاعل الحالة الالتزام به وما يجب عليه الابتعاد عنه من خلال نصّ العقد، ونحاول تمثيل هذه العلاقة كالآتي:

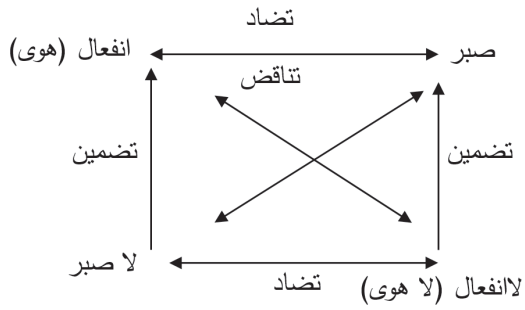

وتعدّ الذّات الإلهيّة (الله) هي المرسل الأوّل الّذي يختبر الذّات الموسويّة على الصّبر عن طريق الخضر عليه السّلام، ويتحدّد البرنامج السّرديّ لموسى عليه السّلام في المقطع الثّاني على الشّكل التّالي:

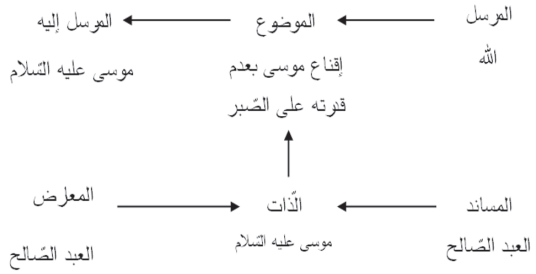

ومن ثمّ، تمّ إبرام العقد بعد اجتياز موسى عليه السّلام الاختبار التّاهيليّ بنجاح وبعد تقبّل العبد الصّالح أقوال المتعلّم والّذي مارس عبرها فعلا إقناعيّا، ليصير فاعلا منجزا بعد هذا الاجتياز، لكنّ هذه الموافقة على تعليم علم الغيب لموسى عليه السّلام بأمر من الله تعالى كانت من الظّاهر فقط، لأنّه يدرك باطنا أنّ علم الغيب لا يدرك، فالموافقة كانت من أجل أن يتعلّم موسى عليه السّلام أنّ علم الغيب لا يدركه لا إنس ولا جان، وقد اتّخذ العبد الصّالح في هذا الموقع موقف عامل مساند ومعارض في الآن نفسه، فقَبْل حدوث المصاحبة أكّد لموسى عليه السّلام ضرورة التقيّد بالشّروط المتّفق عليها من عدم السّؤال والاستفسار والجدال حتّى يكشف له الأمر وتتمّ عمليّة التّأويل.

وتتجلّى معارضة الخضر عليه السّلام للبرنامج السّردي لموسى عليه السّلام في كونه "كتَم سرّ عدم قدرته على تعلّم علم الغيب" في هذه المرحلة، وأنجز معه رحلة البحث عن هذا العلم.

المقطع الثّالث: (خرق العقد/ الشّرط)

قال الله تعالى﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73) فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (74) ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (76) فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) ﴾ (سورة الكهف) ← ملفوظ تحوّل، وفيه اختبار الخضر لموسى عليه السّلام (عمليّة الإنجاز) وهي المرحلة الحاسمة في هذه القصّة.

يشرع الفاعل المنجز(العبد الصّالح) بإنجاز عدّة تحوّلات، هي برامج سرديّة ثانويّة تظهر في خرق السّفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار دون أجر، والّتي تندرج ضمن سيرورة مسار البرنامج السّرديّ لتعليم موسى عليه السّلام، وتعدّ هذه المرحلة مرحلة حاسمة في سبيل بلوغ علم الغيب بعد اجتيازه للبرامج الاستعماليّة (اللّقاء، الصّبر، والعقد).

يظهر موسى عليه السّلام في هذا المقطع مفتقدا للقدرة على الفعل – فعلم الشريعة (الظّاهر) الذي يمتلكه لا يتيح له القدرة على امتلاك العلم اللّدنّي وإنجاز الأفعال المتعلّقة ببواطن الأمور– فيتحوّل من فاعل منجز إلى فاعل حالة، بحيث يحدث التحوّل فور خرق موسى عليه السّلام للعقد/ الشّرط الّذي وضعه سيّدنا الخضر، وهو عدم السؤال وعدم الجدال حتّى يطلعه على حقائق الأمور الّتي سيراها منه، فتظهر الذّات الموسويّة (ف2) على أنّها تعيش حالة هوى متمثّلة في عدم الصّبر على الأحداث الّتي قام بها الخضر عليه السّلام (ف1)، منه نمثّل للتحوّل في العلاقة بموضوع القيمة الأخلاقيّة «الصّبر» بما يلي: (ف1 ∩ م ق) ← (ف2 U م ق)

ومن أجل هذا، نقسّم المقطع الثّالث إلى ثلاث صور تمثّل البرامج السّرديّة الثّانويّة بغية رصد حركة الفاعلين (الخضر وموسى عليهما السّلام)، لتكوّن هذه الصوّر تقييما نهائيّا يحدّد نتيجة البرنامج السّرديّ للذّات الموسويّة:

● الصّورة الأولى:﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71)﴾(سورة الكهف)

غضب موسى عليه في الصّورة الأولى من فعل خرق السّفينة الّذي قام به العبد الصّالح منكرا عليه هذا العمل، خارقا العقد الّذي كان بينهما في سبيل نجاح برنامجه السّردي، وقد كان يملك معرفة الفعل الّذي بموجبها يتحقّق التعلّم وهو عدم السّؤال أو الجدال أو إبداء الاستغراب، لكنّه تفاعل مع العوامل الجديدة تفاعلا قويّا، وأوّلها خرق السّفينة حين اندفع مستنكرا فعل الخرق الذي أضرّ بأناس حملوهما دون أجر فكان جزاؤهم إلحاق الضرر بسفينتهم الّتي جعلوها وسيلة رزقهم.

هذا الاستنكار الّذي بدر منه أدّى إلى عدم تمكّنه من اجتياز الشّطر الأوّل من الامتحان دون خرق العقد، ويعود الأمر لحالة الهوى الّتي عاشها عند جزعه ممّا رآه ظاهرا من فعل فاسد، لكنّه برّر انفعاله بالنّسيان واعتذر عمّا صدر منه ملتمسا عدم المؤاخذة على فعله﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾(73)

لقد تحوّلت الذّات الموسويّة بعد انفعالها إلى ذات مفتقرة إلى القدرة على الفعل (الصّبر) الّتي اكتسبتها في الحالة البدئيّة، ما جعل القدرة على الصّبر والتحمّل الّتي أبداها موسى عليه السّلام أوّل الأمر تتعطّل وتتحوّل إلى اللّاقدرة؛ أمّا الخضر عليه السّلام (المعلّم) فقد ذكّر(المتعلّم) بلطف أنّه خالف الشّرط، ونبّهه إلى ما قصده في بداية الرحلة من عدم قدرته على الصّبر ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72)﴾؛ منه يمكن لنا أن نلخّص الوضع في مربّع (القدرة) الآتي:

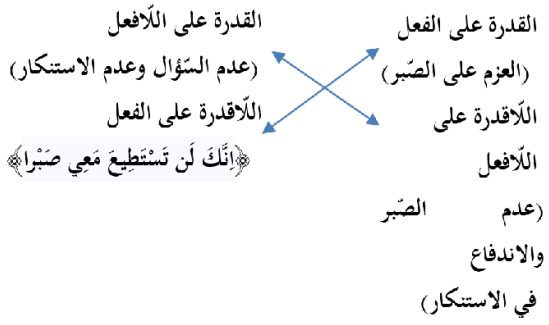

بعد هذا الحدث، يتجاوز موسى عليه السّلام الصّورة الأولى الّتي يبتدئ بها المقطع الثّالث وذلك استنادا إلى رغبته في التعلّم وإلحاحه في طلب العلم وتقديم الاعتذار لمعلّمه عمّا بدر منه من مخالفة الشّرط القائم بينهما، ففعلا الخرق والتّجاوز نشآ استنادا إلى كفاءة موسى عليه السّلام المعرفيّة المقتصرة على العلم الظّاهر الخاصّ بالواقع، وبعد قبول العبد الصّالح اعتذار موسى عليه السّلام– بوصفه عالما والعالم من صفاته الصّبر على المتعلّمين – حدث بينهما الاتّصال مرّة ثانيّة لينتقلا معا إلى الصّورة المواليّة لإنجاز الفعل الثّاني وهو قتل الغلام كاختبار موال لموسى عليه السّلام﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (74) ﴾.

وبهذا الفعل، يخفق موسى عليه السّلام للمرّة الثانيّة في الاختبار بعد عودة حالة الهوى الّتي عاشها قبلا أثناء خرق السّفينة من قبل العبد الصّالح واستنكاره للفعل، لتظهر هذه المرّة أشدّ قوّة وانفعالا عمّا كانت عليه أوّل مرّة، حيث استنكر قتل الغلام استنكارا شديدا بقوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾، فكلمة "نُّكْرًا" تدلّ على الشّيء الّذي«تنكره العقول وتستقبحه،

فهو أشدّ من الشّيء الإمر، لأنّ هذا فساد حاصل والآخر ذريعة فساد» (**بن عاشور**، 1984، **صفحة** 378) فـ«الإمر–بكسر الهمزة- هو العظيم المفظع» (**بن عاشور**، 1984، **صفحة** 375)، ولم يكن موسى عليه السّلام ناسيّا هذه المرّة بل قصد إنكار المنكر الّذي لا يقدر على رؤيته فهو نبيّ ومن مهامه الدّعوة إلى مكارم الأخلاق، حيث يحمل كلام موسى عليه السّلام معنى الاعتذار في هذه المرّة كما فعل في المرّة الأولى أثناء استنكاره لفعل خرق السّفينة، لأن مردّ الأمر هو ترجيح تغيير المنكر الّذي رآه على فعل الالتزام بالعقد الّذي حدث بينهما.

منه يتبيّن لنا أنّ الذّات الموسويّة قد أسّست في الصّورة الأولى من المقطع الثّالث فاعلا منفّذا في برنامج التغلّب على الهوى وعدم الاستسلام للّاصبر، وهذا الفعل محكوم بجانبين: فمن جانب يريد التعلّم، ومن جانب آخر يستنكر ظاهر أفعال الخضر، فقرّر في نهاية الصّورة الأولى الصّبر على ما يرى بعد اعتذاره من معلّمه.

غير أنّه أعاد إظهار عدم صبره متعمّدا عمليّة خرق الاتّفاق لأنّه أراد تقديم تغيير المنكر الّذي رآه من قتل نفس من دون ذنب على عمليّة الوفاء بالشّرط، وهو ما حدا بالعبد الصّالح إلى تذكير موسى عليه السّلام بالاتّفاق وإعادة تقرير ما قاله سابقا من أنّه لن يستطيع معه صبرا ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(75)﴾، فحرف (ألم) أدّى دورا سلبيّا في القصّة.

وبعد هذا القول، وبعد عودة موسى عليه السّلام إلى نفسه، يدرك أنّه خالف الوعد مرّتين، الأولى نسيانا والثانيّة عمدا، وهذا ما يمثّل تهديدا ثانيّا قد يؤدّي إلى نهاية برنامجه السّرديّ، فيندفع ويقطع الطريق على نفسه ليجعلها آخر فرصة أمامه﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (76) ﴾، فهذا الفعل الاستهوائيّ (الاندفاع) أراد به انصاف سيّدنا الخضر الّذي راعى مكانة موسى عليه السّلام بقبول اعتذاره في المرّة الأولى مراعاة لقدره بوصفه نبيّا، فجعل موسى عليه السّلام العذر للخضر في ترك مصاحبته إن تغلّب عليه هوى (اللاّصبر) مرّة ثالثة محاولا تجاوز انفعاله المتمثّل في أنّه لم يعرف كيف يُحَيّن لرغبته(طريقة تجسيد الرّغبة) من أجل الوصول إلى الغاية المرجوّة؛ نمثّل لعنصري القوّة والهوى في الجدول التّالي:

العبارات الّتي تحيل على القوّة	العبارات الّتي تحيل على الهوى
قَالَ سَتَجِدُنِيَ إِن شَآءَ اللَّهُ صَابِرا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرا (69)	لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرا لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرا قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرا

أمّا في الصورة الثّالثة والأخيرة من المقطع الثّالث ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77)قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (78)﴾ هنا يظهر موسى عليه السّلام خارقا لصيغة العقد من جديد، ومقدّما العذر للخضر عليه السّلام في تقييم برنامجه السّرديّ؛ هذا التّقييم اقتضته عمليّة مخالفة الشّرط للمرّة الثّالثة، وهذا ما يبيّن أن الذّات الموسويّة مسؤولة عن أفعالها، وأنّ العبد الصّالح قد صبر على مخالفات موسى عليه السّلام الأولى والثّانيّة، وجعل الثّالثة الفاصلة محدثة الفراق بينهما إذ قال له ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ بعد أن كرّر صيغة التّحذير والتّنبيه ثلاث مرّات ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا﴾ فقد كان هذا التّحذير والتّنبيه من العالم أصلا من أصول عمليّة التعلّم خاصة في المواضيع الّتي تكون فيها مشقّة في المعالجة، فكان هدفهما الإقدام على المتابعة ببصيرة نظرا لخطورة أعمال الخضر وغرابتها ومشقّة تحمّلها، فضلا عمّا يبدو من تناقضات في أفعال العبد الصّالح: خرق للسّفينة، وقتل للغلام، فبناء لجدار يقع في قرية أهلها لئام.

ورغم حدوث الفراق بين موسى عليه السّلام والعبد الصّالح نتيجة عدم صبره وخرقه للشّرط الّذي جمعهما، إلاّ أنّ العبد الصّالح لم يحرم موسى عليه السّلام من تأويل وتفسير الأحداث الّتي لم يستطيع تحمّلها قائلا ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾، لتؤدّي عملية التّأويل نقلة نوعيّة عند تحوّل موسى عليه السّلام من مفتقد للعلم إلى ممتلك له، وهذا ما سيرد لاحقا.

إن عدنا إلى البّرامج السّرديّة الّتي شكّلت المقطع الثّالث وجدناها مغطّاة بشبكة صوريّة شكلّت مسار السّرد، فالخضر عليه السّلام يظهر كقائم بفعل، تمثّل دوره العامليّ في كونه فاعلا ومرسِلا، ودوره الغرضيّ في كونه على صعيد الظّاهر: عالما، معلّما، مخرّبا، قاتلا، مصلحا، مخبرا، كاتما للأسرار، ومؤوّلا.

أما في الباطن: فهو عالم بالغيب، وهو وسيلة الله الّتي استعملها لتعليم موسى عليه السّلام.

منه يحدث تغيّر في الوضعيّات نمثّله بالملفوظ السّرديّ الآتي:

ف م⟵ف1 [(ف2 ∩ م ق) ⟵(ف2 U م ق)]

فننتقل بهذا إلى النّموذج العامليّ القائم على ثلاثة محاور، يربط كل محور منها عاملين على النّحو الآتي:

1. محور التّبليغ: وطرفاه المرسل والمرسل إليه، الله/ موسى عليه السّلام.

2. محور الرغبة: وطرفاه الذّات وموضوع القيمة، موسى عليه السّلام/ العلم اللّدنّي.

3. محور القدرة: وطرفاه المساند والمعارض، العبد الصّالح/ اللاّصبر، النّسيان، والخضر.

من خلال ما سبق ندرج التّرسيمة العامليّة التاليّة:

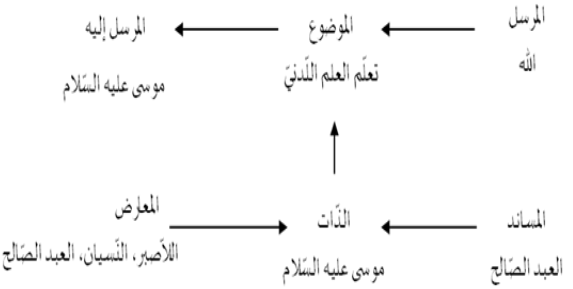

ومن خلال هذه التّرسيمة نلاحظ أنّ العبد الصّالح يلعب في هذا المقطع دورين في الآن نفسه، أحدهما مساند والآخر معارض لبرنامج موسى عليه السّلام، فقد أقر وحدّد للمتعلّم منذ البداية أنّه لن يستطيع الصّبر، واشترط عدم السّؤال إن رغب بمصاحبته، فلمّا رأى الإصرار منه قبل المصاحبة وهو يعرف أنّ برنامجه لن يتحقق لعدم معرفته بباطن الأمور.

المقطع الرابع: (تأويل الأحداث).

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79) وَأَمَّا الْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَآ أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا(82)﴾ تأويل العبد الصّالح للأحداث الّتي لم يستطع موسى عليه السّلام الصّبر عند رؤيتها فقام باستنكارها ليحدث الفراق بينهما، وهي المرحلة النهائيّة من هذه القصّة القرآنيّة.

يكشف العبد الصّالح سرّ الرحلة العلميّة والأحداث المصاحبة لها، محققا لموسى عليه السّلام معرفة أنّ علم الغيب من اختصاص الله تعالى، منه يتحوّل الفاعل من فاعل منفصل عن موضوع القيمة (العلم) إلى فاعل متّصل به بعد تأويل الخضر للظّواهر الثّلاث (خرق السّفينة، قتل الغلام، وبناء الجدار)، ليصبح موسى عليه السّلام بهذا ممتلكا للمعرفة الّتي كان يجهلها قبل تفسير الخضر للأمور ولو لم تكن علم الغيب بذاته ولكن العلم الجازم بأنّ علم الباطن لم يكن من اختصاص البشر ولن يكون، ونمثّل لذلك بما يلي:

ف ت(ف3) ⟵(ف1 U م ق) ⟵(ف2 ∩ م ق) تحوّل (ف1 ∩ م ق ∩ ف2)

ف ت: فعل تحويل، ف3: الله، ف2: العبد الصّالح، ف1: موسى عليه السّلام،

م ق: موضوع القيمة المتمثّل في العلم اللّدنّي.

وممّا سبق، نمثّل البرنامج السّرديّ في الجدول التّالي:

قبل الأحداث	الأحداث			بعد الأحداث
	الإيعاز	الفعل	الجزاء	التّأويل
رغبة موسى عليه السّلام في اكتساب العلم اللّدنّي	معاتبة الله لموسى عليه السّلام الرغبة في الاستزادة في العلم	البحث عن العبد الصالح (رحلة موسى عليه السّلامفي سبيل طلب العلم)	تعلّم أن العلم اللّدنّي من اختصاص الله تعالى وأنّ علم البشر قاصر دائما.	

إنّ حدوث الفراق بين المعلّم وطالبه نتيجة عدم صبر هذا الأخير لم يمنع العبد الصّالح من تأويل وتفسير الأحداث التي وقعت وتوضيح الأمور وإجلاء سرّ أفعاله الغريبة والمتناقضة من خرق للسفينة، فقتل لغلام دون ذنب، انتهاء بإصلاح جدار في قرية أهلها لئام، فهو يمتلك علم الحقيقة (الغيب) الّذي لا يمتلكه موسى عليه السّلام، فضرر خرق السّفينة الّذي تعمّد الخضر عليه السّلام القيام به كان لتجنّب ضرر أكبر كان سيحدث للسّفينة لو بقيت على سلامتها فيؤذى بذلك أصحابها فقد كان وراءهم ملك ظالم تكرّر أخذه للسّفن السّليمة ليستعملها في قضاء حوائجه، وبفضل العيب الّذي أحدثه الخضر عليه السّلام فيها لم يسلبها من أهلها فنجوا.

أمّا الغلام الّذي لم يبلغ الحلم بعد ولا يدلّ مظهره على استحقاقه القتل، فقد كشف الله للعبد الصّالح أنه سيكون كافرا وظالما وسيرهق أهله طغيانا وكفرا، وقد يقودهما حبهما له لاتّباعه فأراد الله ووجّه إرادة عبده الصّالح إلى قتل الغلام، عسى أن يبدّلهما الله خيرا منه وأرحم.

أمّا الجدار الموشك على السّقوط والّذي بناه الخضر في قرية أهلها لئام يرفضون استضافة عابري السّبيل، فقد بناه العبد الصّالح دون أن يشترط عليه أجرا ينتفع به وصاحبه في شراء الزاد فقد كان (الجدار) لغلامين يتيمين أراد الله أن يلطف بهما جزاء لأبيهما على صلاحه، فهذا العمل كرامة لأبيهما المتّقي.

وبناء على ما سبق ذكره، يتبيّن أنّ موسى عليه السّلام لم يستطع أن يكون مساعدا للعبد الصّالح من أجل إنجاح البرنامج السّرديّ بسبب أنّه كان يعلم العلم الظّاهر دون الباطن، ما جعله يكون قاصرا عن إدراك ما وراء السّفينة، وغير عالم بتركيبة عقل الغلام وأنّه سينحرف عن الصّواب وسيرهق أهله الأتقياء لو بقي على قيد الحياة، كما أنه لم يستطع إدراك وجود كنز في مكان خفيّ وهو (أسفل الجدار) وأنّ تلك القيمة الماديّة تركها عبد صالح لولديْه.

• التّقييم

قام العبد الصّالح بعد خرق موسى عليه السّلام للشّرط بحلّ العقد الّذي جمع بينهما، وللإشارة فيما يتعلّق بصيغة

"العقد" الّتي تنشأ من خلال العلاقة الّتي تربط المرسِل والمرسَل إليه فإنّ "غريماس" يطلق عليها لفظ «التّعاقد le contrat» **(Algedas Julien Greimas, p. 196)** وهو على أنواع نظرا لاختلاف العلاقة بين طرفي العمليّات التّعاقديّة، فجعل نوع العقد الّذي تمّ بين الله تعالى والعبد الصّالح تحت مسمّى " العقد الإجباري" Contrat injonctif حيث يوجّه المرسِل أمرا إلى المرسَل إليه الّذي يكون في هذه الحالة مرغما على القبول، لأنّ علاقته بالمرسِل علاقة مرؤوس برئيس (**المرزوقي و جميل**، 1979، **صفحة** 70)، غير أنّ الأمر يختلف بالنّسبة للعلاقة الّتي تربط الله تعالى بعباده المصطفين لحمل رسالته على الأرض وتبليغها على أكمل وجه فهي علاقة فريدة من نوعها تتجلّى في علاقة الخالق بالمخلوق الّذي يخضع لله تعالى بكلّ جوارحه قلبا وعملا، فخضوع التعبّد والانقياد والاتّباع هو حقّ الألوهيّة وبهذا يتحقّق المعنى الوارد في سورة الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)﴾، أمّا علاقة العبد الصّالح بموسى عليه السّلام فتسمّى بـ«العقد التّرخيصي Contrat permissif يخبر المرسل إليه المرسل بإرادته للفعل فيكون موقف المرسل القبول والموافقة وفي هذه الحالة يعزم تلقائيّا على الإنجاز» (**المرزوقي و جميل**، 1979، **صفحة** 70)، الأمر الّذي حصل مع موسى عليه السّلام والعبد الصّالح بعد لقائهما في مكان فقد الحوت، وبعد إنجاز هذا الأخير للأعمال الّتي كلّفه الله تعالى بها لتعليم موسى عليه السّلام بعد موافقته على شرط المصاحبة لكنّه لم يستطع الالتزام به فيقوم بفكّ العقد التّرخيصي الّذي جمعهما، ليتّجه بعد ذلك العبد الصّالح بإبرام عقد من نوع آخر سمّاه "غريماس" بـ«العقد الائتماني Contrat fiduciaire يقوم فيه المرسل بفعل إقناعي يؤوّله المرسل إليه» حيث قدّم تأويلا للأحداث الّتي وقعت وفق الإرادة الربّانيّة معلّلا ذلك بقوله ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ ليؤكّد الخضر عليه السّلام بهذا القول الإقناعي أنّ الأفعال الّتي قام بها هي أمر من الله تعالى، وهو وحده المختصّ بعلم الغيب، ناهيك عن أنّ رحمة الله تعالى هي الّتي اقتضت هذه التّصرفات، وأنّ اطّلاع العبد الصّالح على علم الباطن المتعلّق بالمسائل الثّلاث السّابقة قد أراد به الله تعالى حكمة ما هو أعلم بها، الأمر الّذي جعل موسى عليه السّلام يعجز عن تفسير أفعال الخضر رغم نبوّته وعلمه الواسع.

- **البنية العميقة:**

إنّ الوحدة المعنويّة الأساس في قصّة سيّدنا موسى عليه السّلام مع العبد الصّالح الخضر هي: تعلّم العلم اللّدنّي الّذي يسيطر على النصّ من خلال مجموعة من الثّنائيات السّميائيّة وهي:

1. صبر / لاصبر: سفر موسى عليه السّلام لتعلّم العلم اللّدنّي وعدم قدرته على الصّبر.

2. جهل / علم: جهل موسى عليه السّلام بعلم الغيب وعلم العبد الصّالح به.

3. وفاء بالشّرط / خرق للشّرط: تأكيد موسى عليه السّلام للعبد الصّالح الوفاء بالشّرط لكنّه أخلفه ثلاث مرّات.

4. طاعة / استنكار: عزم موسى عليه السّلام على الطّاعة لكنّه استنكر الأفعال الّتي وقعت.

5. سرّ/ تأويل: كتم العبد الصّالح لسرّ الأفعال الّتي قام بها ثمّ تأويلها لموسى عليه السّلام بعد حدوث الفراق بينهما لتعليمه.

كما نلمس بعض صور التعارض الدّلاليّ الّتي توضّح السّمات المميّزة لـ (موسى عليه السّلام وظاهر العبد الصّالح):

1. صفات موسى عليه السّلام: غير عالم يريد التعلّم ويصّر عليه، ناه عن المنكر لأنّه نبيّ، معتذر، مفاوض، عازم، متسائل، مندفع، ناسٍ، معتذر، متعلم (تعلّم عدم قدرته على معرفة الغيب).

2. العبد الصّالح: عالم بعلم الغيب، مخرّب، قاتل، خيّر، مصلح، منفّذ لأوامر الله عابد وخاضع له.

فالفرق بينهما أنّ الأوّل يجهل الغيب والثّاني يعلمه، فمعرفة الغيب هو الحقيقة وما يعرفه موسى عليه السّلام هو الشّريعة.

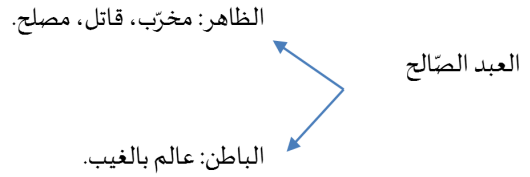

إنّ عدم علم موسى عليه السّلام بعلم الغيب يحقّق وحدة دلاليّة مقابل العلم اللّدنّي الّذي يتمتّع به الخضر عليه السّلام، فالجهل هو الدّور الغرضيّ الّذي نحدّده للفاعل فهو (جاهل) مقابل دور غرضيّ آخر للعبد الصّالح فهو (عالم).

وبالتالي يمكن أن نمثّل المعنى العام الّذي تشكّله الثّنائيّة الرّئيسة (جهل/علم) لنبيّن من خلالها علاقة المستوى السّطحي بالمستوى العميق في هذه القصّة، وذلك من خلال المربّع السّميائي التّالي:

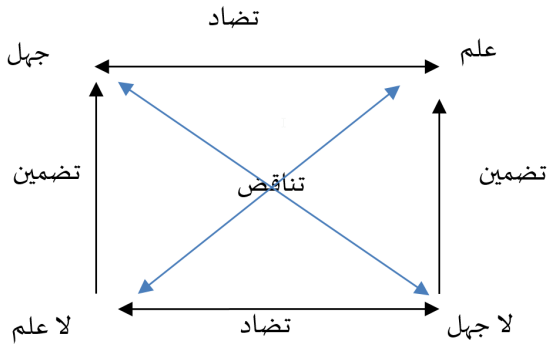

يوضّح هذا المربّع أن التّضاد القائم بين العلم والجهل من جهة ومتضمّنيها (لاجهل، لا علم) من جهة أخرى يقابل التّناقض بين الصّبر والهوى (اللّاصبر) في هذه القصّة القرآنيّة، حيث بدا

موسى عليه السّلام في الوضعيّة البدئيّة مفتقدا للعلم، ساعيّا للحصول عليه ومصرّا على امتلاكه من خلال اكتسابه لمواضيع الصّيغة (الإرادة والمعرفة) والّتي أهّلته لاحتلال مكان الفاعل القائم بالفعل (الفاعل المنجز)، لينجح بعد ذلك في إبرام العقد، لكنّ المرحلة الحاسمة (عمليّة الإنجاز) أبرزته خارقا للعقد وفاقدا لقيمة الصّبر باندفاعه وسؤاله بعد كلّ فعل يقوم به الخضر عليه السّلام، وفي الوقت ذاته أبرزته مصمّما على التعلّم معتذرا عمّا بدر منه من اندفاع واستنكار.

ولقد انطلقت القصّة من فعل الصّبر على مشاق السّفر من أجل التعلّم وهو منهج طالب العلم يتوجّب على كلّ ذات ترغب في الاتّصال بالعلم مهما كانت طبيعته، فبعدم تطبيق موسى عليه السّلام هذا المبدأ رغم حرصه على ذلك لم يستطع اجتياز الاختبارات الإلهيّة الّتي كان العبد الصّالح وسيلة للقيام بها، ويرجع الأمر للعجز في هذا المقام إلى بشريّة موسى عليه السّلام وعلمه المحدود المقتصر على الشّرع دون الغيب، وهذا راجع أساسا إلى الوظيفة الّتي كلّفه الله تعالى بها على الأرض وهي نشر التّوحيد والنّهي عن المنكر وتقويم الاعوجاج أينما وُجد، فرغم أنّه لم يُدرك علم الغيب إلّا أنّه تعلّم أنّ هذا العلم خاص لا يدركه إلا الله تعالى وأنّ الإنسان عاجز عن ذلك مهما أوتي من علم ومن كرامات، لأنه يعلم ظاهر الأشياء دون باطنها وهذا أفضل للإنسان حتّى تستقيم حياته مصداقا لقوله تعالى ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216)﴾ (سورة البقرة، الآية 216)، فضلا عن تعلّمه أنّ الإنسان قاصر في علمه مهما تعلّم لقوله تعالى ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

يختفي العبد الصّالح من السّياق كما ظهر، ليمضي في المجهول كما خرج، معلّما موسى عليه السّلام والمؤمنين أجمع مقدارا من علم الغيب حسب ما أمره الله تعالى به، وأنّ العلم الجامع بيدّ الله تعالى وما نملكه هو جزء يسير فقط، ليختفي بعدها في علم الغيب الّذي يبقى عند الله جلّ جلاله وعظُمت صفاته إلى أن تقوم السّاعة.

نخلص في نهاية البحث إلى جملة من النّتائج نلخّصها فيما يلي:

- بيّنت قصّة موسى عليه السّلام مع العبد الصّالح الفرق بين الحكمة الإنسانيّة الظّاهرة والعاجلة وبين الحكمة الإلهيّة الآجلة الممثّلة في علم الغيب أو العلم اللّدنّي، فمنطق الظّاهر يسير دوما في اتّجاه مألوف تقبلُه عقول البشر على اختلاف مستوياتهم الفكريّة، غير أنّ علم الباطن يسير في اتّجاه مغاير، بعيد عن المألوف، لا يعلمه إلّا الله تعالى.

- كشفت الدّراسة عن تحكّم بعض الكيفيّات في توجيه المسار القصصي لأحداث رحلة موسى عليه السّلام والعبد الصّالح، فكان "وجوب الفعل" المحرّك الأساسي للأحداث وذلك لوقوعها أثرا للأمر الإلهي بتعليم موسى عليه السّلام أنّ العلم اللدنّي خاصّ بالله تعالى دون غيره، وقد انبثقت عن "وجوب الفعل" كفاءتيْن: كفاءة معرفيّة، وكفاءة عمليّة فعّلت عمليّة التّعليم وحقّقت المقصد وراء القصّة القرآنيّة.

إنّ الاشتغال بآليّات المناهج المعاصرة على النّصّ القرآني ليس اشتغالا بها لذاتها، وإنّما هو حالة من حالات التعبّد، ذلك أنّ الباحث حين يغوص في معاني النّصّ ليفكّ شفراته يكتشف عظمة الله تعالى ومنهجه من خلال كلامه، ومن خلال تتبّع مقاصد آياته، فيصير المنهج مجرّد وسيلة للاقتراب من النّصّ القرآني ولا يمكن له أن يحقّق نتائج تخلو من النّقص، ذلك أنّه لا يمكن لعلم محدود أن يصل إلى كلّ حقائق علم ربّانيّ مُطلق، فاللّجوء إلى المناهج النّقديّة المعاصرة لا يعني أنّها تُوصلنا إلى الإحاطة بالنصّ المدروس معرفيّا، بل نجد أنفسنا دائما محصورين بين مُطلقيّة القرآن ونسبيّة النّتائج، ليظلّ النصّ القرآني أكبر من كلّ القواعد الإنسانيّة وإن أضاءت بعضا من جوانبه، فالتّمييز بين النصّ القرآني والنصّ البشري أمر ضروريّ، فرغم صلة القرآن الكريم بالواقع إلّا أنّه يهيمن على هذا الواقع ويُخضعه له، إصلاحا له وتغييرا للمعوجّ منه، وترسيخا للإيمان ودحضا للكفر.

تضارب المصالح

تعلن المؤلفة أنه ليس لديها تضارب في المصالح.

قائمة المراجع

القرآن الكريم

- ألجيرداس.ج غريماس، وفونتاني وجاك. (2010). سيميائيّات الأهواء "من حالات الأشياء إلى حالات النّفس". (ترجمة وتقديم وتعليق: سعيد بنكراد) بيروت: دار الكتاب الجديد المتّحدة.

- المرزوقي. س.، جميل. ش. (1979). مدخل إلى نظريّة القصّة. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة.

- عصام خلف كامل. (2003). الاتّجاه السّيميولوجيّ ونقد الشّعر. مصر: دار فرحة للنّشر والتّوزيع.

- محمد الطّاهر بن عاشور. (1984). تفسير التّحرير والتّنوير، ج 51. تونس: الدّار التونسيّة للنّشر.

- نبيلة إبراهيم. (د ت). فنّ القصّ في النظريّة والتّطبيق. الفجالة: مكتب غريب.

-Algedas Julien Greimas. (s.d.). Sémantique structurale, Recherche de méthode nouvelle.

-Groupe d'entrevernes. (1984). analyse sémiotique des textes, introduction , théorie, pratique. France: press universitaires de lyon.

وهيبة خبيل (2024)، التشكّل السّردي لمسار الفواعل في القصص القرآني - موسى عليه السّلام مع العبد الصّالح أنموذجا-، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 16، العدد 01، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص ص: 114-122.